

● من تاريخ البيوتات الإسلامية :

صياغة جديدة للذاتية الإسلامية

للدكتور

محمد محمد أبو شهبة

وأبوه عمر روى المغازى (2) والاخبار عن أبيه قتادة ، ورواها عن عمر ابنه عاصم ، يعتبر في الطبقة الثانية (3) التي ألفت في المغازى والسير في القرن الاول الهجرى قال فيه ابن سعد : « كان راوية للعلم ، وله علم بالمغازى والسير أمره عمر بن عبد العزيز أن يجلس في مسجد دمشق ، ويحدث الناس بالمغازى ومناقب الصحابة ، ففعل ، وكان ثقة كثير الحديث عالما » وثقه أكثر أئمة الجرح والتعديل ، وكانت وفاته سنة عشرين ومائة وقيل تسع وعشرين ومائة (4) .

وكان وفد على خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فبين وفد وكان لا يعرفه فقال له : من الرجل ؟ فقال :

لقد أوحى الى هذا العنوان قصة ذكرها أصحاب كتب السير والمغازى ، والمؤلفون في الصحابة رضوان الله عليهم عن عاصم بن عمر بن قتادة بن النعمان الانصارى ، الأوسى ثم الظفرى من بنى سواد بن ظفر كان جده قتادة بن النعمان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الاجلاء ، والابطال الشجعان ، شهد بدرا والمشاهد كلها وأصيبت عينه يوم أحد ، وقيل يوم بدر ، والاصح الاول ، فسقطت على وجنته ، وبقيت متصلة بمجرها ، فأشاروا عليه أن يقطعوها ، فأبى ، وقال حتى سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذها بيده المباركة فردها الى أصلها فعادت كما كانت ، بل وأحسن مما كانت ، حتى روى أنها كانت أجمل عينيه وأحدهما (1) .

(1) الاستيعاب على هامش الإصابة ج 3 ص 248 ، والإصابة في تاريخ الصحابة ج 3 ص 225 .

(2) الغزوات .

(3) الطبقة في اصطلاح المحدثين : جماعة من العلماء تقاربوا في السن ، واشتركوا في لقاء الشيوخ والاخذ عنهم .

(4) لسان الميزان ج 5 ص 54 .

أنا الذى سألت على الخد عينه
فردت بكف المصطفى أحسن الرد
فمادت كما كانت لأول أمرها
فيا حسن ما عين ، ويا حسن ما رد (5)

ويروى أيضا : (وياحسن ما خد)

فقال عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه :

تلك المكارم لا تعبىان من لبن
شيئا بماء فمادا بعد أبوالا !! (6)

وقد صدق الإمام الصالح ، والخليفة السورع
خامس الراشدين ، فهذه هى المكارم الحققة ، والمفاخر
الباقية أما الكرم ، وإطعام الطعام ، وسقى الشراب
فهى فضائل أيضا ولكنها ليست باقية خالدة كهذه
المفاخر ، ولا اكتم السادة القراء الكرام أتى اطرب
جد الطرب لهذه القصة ، واكاد أتمايل من الطرب عند
قراءتها ، بل كثيرا ما اجدنى فى هدوئى ، وخلواتى
أذكرها ، وأردها ، ففى هذه القصة بعض المكارم
والمفاخر التى زخر بها تاريخ الرعيل الأول من
المسلمين ، وتاريخ آبائنا الأوائل ولذلك أمثلة كثيرة
لا يحصىها العد فى الايمان ، والاسلام ، والهجرة ،
والجهاد ، وحضور الغزوات والمشاهد ، والعلم ،
والحكمة ، فهناك أسر وبيوتات اسلامية وعربية كمن
لها قدم ثابتة فى المكارم والفضائل « من بيوت الانتصار
المسلمة المجاهدة » .

واليكم — يا قارئى الكرام — مثلا كاملا ،
ونموذجا صالحا لبيت من بيوت الانتصار وهم معاذ ،
ومعوذ وعوف أبناء الحارث بن رفاعة بن الحارث
ابن سواد بن مالك بن غنم النجارى ، وقيل بحذف
الحارث الثانى فى النسب . فهم من بنى النجار ،
وبيتهم اشرف بيوت الانتصار ، والثلاثة انتصار ، وكانوا
من الشباب الذين سارعوا الى الدخول فى الاسلام ،
ولهم قدم ثابتة فيه ، وشهدوا جميعا غزوة بدر

الكبرى فهم يدريون ، وهذه افضل المناقب بمعد
الاسلام ، واستشهد منهم فى بدر اثنان ، وعاش
الثالث حتى توفى فى خلافة على رضى الله عنه ،
وكرم وجهه ، بعد ان شارك فى الغزوات والفتوح ،
أما أبوهم فلم تعرف له صحبة ، وقد بحثت فى كتاب
« الاستيعاب » لابن عبد البر المحدث الفقيه المالكى ،
وكتاب « الاصابة » للإمام الحافظ ابن حجر ، فلم أقف
له على ذكر فى الصحابة والذى يظهر لى — والله
اعلم — أن يكون قد توفى فى الجاهلية ، أو أن الله
تبارك وتعالى لم يختم له بالاسلام .

أما أمهم التى يعرفون بها — وحق لهم أن
يعرفوا بها — فهى السيدة الجليلة والصحابية
الفضلى عفرات بنت عبيدة بن ثعلبة ، بن سواد بن
غنم ، ويقال : ثعلبة بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن
مالك بن النجار ، فهى نجارية كابيهم وبذلك اجتمع
لهم الشرف من جهة أبيهم وأمهم ، ذكرها ابن حبيب
فى المبايعات من النساء ، قال الحافظ ابن حجر فى
« الاصابة » : وعفراء هذه لها خصيصة لا توجد
لغيرها ، وهى انها تزوجت بعد الحارث ، البكر بن
ياليل الليثى فولدت له أربعة : اياسا ، وعاقلا ،
وخالدا ، وعامرا وكلهم شهدوا بدرا ، وكذلك
اخوتهم لامهم بنو الحارث ، فانتظم من هذا انها
امراة صحابية ، لها سبعة اولاد كلهم شهدوا بدرا
مع النبى صلى الله عليه وسلم (7) .

اقول : وانها — والله — لمفخرة المفاخر ،
ولكرمة المكارم ، أن تنجب سبعة كلهم شهدوا بدرا ،
وقد بين لى بعد الاطلاع على سيرة أمهم العطرة ،
ومناقبها الجمة السبب فى أن معاذ ، ومعوذا ،
وعوفا كانوا لا يعرفون الا بها ، وانها لجديرة أن
تعد فى الفضليات من النساء العربيات المسلمات ،
ومثل هذه الام فى الانتساب اليها أو ان شئت الدقة
— فقل فى تعريفهم بها ، كرامة ، واية كرامة .

واليكم كلمة عن كل من الفرسان الثلاثة الذين
تسابقوا الى الله ، والى رسول الله ، والذين كانت

(5) انظر الاصابة والاستيعاب فى الموضعين السابقين

(6) القعب هو ما يحلب فيه ، شيئا أى خلطا من الشوب وهو الخلط ، والابوال معروفة وانها لفلسفة
عميقة مع بساطتها وقربها ويسر فهمها على كل العقول ، فما كل الماكل والمشارب الا مآلها كما
يعلم كل احد !!

(7) الاصابة فى تاريخ الصحابة جزء 4 ص 364 ط اولى .

لهم قدم ثابتة في الاسلام ، وحظوا بمنقبة المناقب
«شهود بدر» .

«معاذ بن الحارث» :

أما معاذ بن الحارث أو ابن شنت فقتل : ابن
عفراء كما قال السادة الاخيار من سلف هذه الامة،
وعلمائها فهو نجارى أنصارى ، قال ابن عبد البر
في «الاستيعاب» قيل : انه أحد الستة الذين التقى
بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما التقى
بالمقبة ، وقيل : انه أحد الثمانية (8) .

اقول : الذي ذكره ابن اسحاق في « سيرته »
في الستة الذين التقوا برسول الله صلى الله عليه
وسلم هو أخوه عوف بن عفراء ، ولكن موسى بن
عقبة صاحب « المغازي » وهو أوثق من ابن
اسحاق ، وقد روى له أصحاب الصحيحين وغيرهما،
ذكره في الثمانية الذين التقى بهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم أول ما التقى بالانصار في العقبة ،
ولم يذكر أخاه « عوفا » رضى الله عنه (9) .

ولم يختلف كتاب « السير » ولا غيرهم في انه
شهد ببيعة العقبة الاولى والثانية (10) فقد عده
ابن اسحاق وغيره في الاثنى عشر الذين حضروا بيعة
العقبة الاولى ، وفي الثلاثة والسبعين رجلا الذين
حضروا بيعة العقبة الثانية (11) وقد شارك في قتل
فرعون هذه الامة ابي جهل بن هشام ، وذلك في غزوة
بدر . روى البخارى في صحيحه بسنده عن عبد الرحمن
ابن عوف قال : « بينما أنا واقف في الصف يوم بدر ،
فنظرت عن يمينى وشمالى ، فإذا أنا بغلامين من
الانصار حديثي أسنانهما ، تمنيت أن أكون بين
أضلع منهما ، فغمزنى أحدهما ، فقال : يا عم ، هل
تعرف ابا جهل ؟ قلت : نعم ، ما حاجتك اليه يا ابن
أخى ؟ قال : اخبرت انه يسب رسول الله صلى الله

عليه وسلم !! ، والذي نفسى بيده لئن رأيته لا يفارق
سوادى سواده حتى يموت الاعجل منا ، فتعجب
لذلك !! ، فغمزنى الآخر فقال لى مثلها ، فلم البث
أن نظرت الى ابي جهل يجول في الناس ، فقلت : إلا
ان هذا صاحبكما الذى سالتهماني ، فابتدراه بسيفيهما،
فضرباه حتى قتلاه ، ثم انصرفا الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فأخبراه : فقال : « ايكما قتله » ؟
قال كل واحد منهما : أنا قتلته فقال : « هل مسحتما
سيفكما » ؟ قالا : لا ، فنظر في السيفين ، فقال :
« كلاكما قتله » سلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح ،
وكانا معاذ بن عفراء ، ومعاذ بن عمرو بن
الجموح (12) .

وقد ذكر ابن اسحاق في سيرته لسنده عن ابن
عباس قال : قال معاذ بن عفراء سمعت القوم وهم
في مثل الحرجة وابو جهل فيهم ، وهم يقولون : أبو
الحكم لا يخلص اليه ، قال : فلما سمعتهما جعلته
من شأنى فقصدت نحوه ، فلما أمكننى حملت عليه
فضربته ضربة فطنت قدمه بنصف ساقه ، وضربنى
ابنه عكرمة على عاتقى فطرح يدى فتعلقت بجلدة من
جنبى ، وأمهلى القتال عنه ، ولقد قاتلت عامة
يومى وانى لاسحبها خلفى ، فلما آذنتى وضعت عليها
قدمى ، ثم تمطيت بها حتى طرحتها ، ثم عاش بعدها
حتى كان زمن على رضى الله عنه فمات رضى الله
عنه . وبعض المؤرخين وكتاب السير يذكرون قصة
التمطى ، وقطع اليد لمعاذ بن عمرو بن الجموح ،
والله أعلم بالصواب ولكن الذى لم يختلف فيه أحد
انه شارك في قتل ابي جهل ، والذي يظهر لى أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم حكم لمعاذ بن عمرو
ابن الجموح بسلب (13) ابي جهل لاحد الدلائل
والامارات التى لاحت له صلى الله عليه وسلم أن
الضربة القاتلة كانت من معاذ بن عمرو بن الجموح ،
وضربة الساق غالبا لا تميت ، وقيل : انه جرح في

(8) الاستيعاب ج 3 ص 363 على صاحب الإصابة.

(9) السيرة النبوية في ضوء القرآن لكاتب المقال ج 1 ص 452 .

(10) المصدر السابق ص 453 ، 465 .

(11) السيرة لابن هشام ج 1 ص 454 ، 467 ، والبداية والنهاية ج 3 ص 166 - 168 .

(12) صحيح البخارى - كتاب الخمس - باب من قتل قتيلاً فله سلبه وانظر فتح البارى بشرح صحيح
البخارى في هذا الموضع .

(13) السلب - بفتح السين واللام - لمعلى المقاتل من سلاح ، وثياب ومتاع ومركوب والمراد
به هنا السلاح .

لقد ارتقيت مرتقى صعبا يا رويسى الغنم !! وبذلك
أراح الله البلاد والعباد من شر هذا الطاغية المتجبر،
على يد الشبان الثلاثة الأبطال .

عوف بن عفراء :

أما عوف ابن عفراء فقد ذكره ابن اسحاق في
السنن الذين التقى بهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم أول لقاء في العقبة من السادة الانصار ،
وكذلك ذكره في اهل بيعة العقبتين : الاولى والثانية
الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهما
على أن ينصروه ويؤووه اذا قدم عليهم المدينة ،
ويمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم ، وقد
اتفقوا على أنه ممن شهد بدرا وفيها قاتل قتال الأبطال
حتى استشهد ، وقد روى أنه قبيل المعركة سأل
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما يضحك
الرب من العبد ؟ قال : « أن يغمس يده في العدو
حاسرا » وكان عليه ورع فنزعها ، وصار يقابل حتى
استشهد رضى الله عنه وأرضاه ، والمراد بيده ، أى
سيفه ، حاسرا : أى من غير درع وهذا لون من
الوان البطولة ، والرغبة في الفوز برضوان الله
تبارك وتعالى .

لقد سارع أبناء الاسرة الثلاثة الى الاسلام
فيمين سارعوا ، وبايعوا فيمين بايعوا ، وحضر
الثلاثة بدرا فاستشهد منهم اثنان ، وبقي الثالث ،
وقد كان حريصا على الشهادة ، ولكن طالت به
الحياة ، فجاهد وشارك في الفتوحات في سبيل نشر
الاسلام ، وهكذا فلتكن المفاخر ، ولتكن المكارم .

لقد لقوا الله ولكن بعد أن كتبوا لانفسهم
صحائف في سجلات الخلود ، لقد ذهبت الجراح ،
وذهبت الآلام ، ولكن بقيت سيرهم مسكا يتضوع ،
وعطرا يفوح ، وذكرنا يتردد على لسان العلماء ،
والكتاب والخطباء ، والشعراء ، فاعتبروا يا أولي
البصائر .

بدر ثم مات بعد بسبب صراحته والصحيح أنه عاش
حتى زمن علي ، وشهد المغازي والفتوحات ، فرضى
الله عنه وأرضاه .

« معوذ (14) بن الحارث » او « ابن عفراء »

أما معوذ بن الحارث فهو الصحابي الانصارى
كان من السابقين الى الاسلام من الانصار ، وقد
اتفقوا على أنه حضر بيعة العقبة الثانية هو واخوه
معاذ ، وعوف ابنا عفراء ، وعلى أنه شهد بدرا مع
اخويه وقد شارك أيضا في قتل أبى جهل ابن هشام
كما ذكر ذلك الامام البخارى (15) في صحيحه عن
عبد الرحمن بن عوف في قصة بدر وقتل أبى جهل ففى
الحديث « فضربه ابنا عفراء حتى برد » أى قارب
الموت والمراد بابنى عفراء هما : معوذ ، ومعاذ رضى
الله عنهما ، ثم ما زال يقاتل في بدر قتال الأبطال
حتى قصد اليه رجل من المشركين فضربه ضربة سقط
على اثرها شهيدا بعد أن أرضى الله ، وأرضى رسول
الله ، واستشهد في سبيل عقيدته ودينه فرضى الله
عنه وأرضاه والظاهر أن كلا من معاذ بن عمرو بن
الجموح ، ومن معاذ ابن عفراء ، ومعوذ ابن عفراء
شارك في قتل أبى جهل ، وقد كان — لعنه الله
وأذله — عليه من الدروع والسلاح ما جعله يصول
ويجول في المعركة وما جعل البعض يتهيبون اللقاء
به ، كما كان معه من الأبطال كابنه عكرمة بن أبى
جهل من يحيطون به ويساعدونه ، حتى قبيض الله
له هؤلاء الشبان الثلاثة فاشتركوا في قتاله حتى
سقط على الارض ، ولم تزل به بقية من روح ، فجا
عبد الله بن مسعود فجلس عليه واحتز رأسه ،
وذهب بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
مبشرا ولقد بلغ من تجبر أبى جهل أنه وقد ركب
عليه الصحابي النحيل الضعيف في جسمه ، القوى
في إيمانه ، وهو يلفظ أنفاسه الاخيرة — أن قال له :

(14) معوذ : يضم الميم وفتح العين وكسر الواو المشددة آخره ذال معجمة ، ويجوز فتح الواو .
(15) صحيح البخارى — كتاب المغازي باب قتل أبى جهل ، وانظر فتح البارى في هذا الموضع أيضا .